تفسير الكتاب المقدَّس

رؤيا القدّيس يوحنّا اللاهوتي

الإصحاح السابع – مقدِّمة

الأب ابراهيم سعد

٢٠٢٠/١٠/١٤

صباح الخير، أتمنّى أن يكون الجميع قد اجتاز هذه المرحلة إلى الآن بِخَيرٍ وصَبرٍ وثَبات، كما أتمنّى أن يكون الجميع على استعداد للمرحلة الآتية بالقوّة نفسها، – لا بل أكثر– ، لأنّه كلَّما اشتَّدت الصُّعوبات كُلَّما كانت الحاجة إلى الصَّبر أكثر إلحاحًا.

نحن الآن في مرحلة جِهادٍ في هذه الحياة، لِنَبقى موجودين عند زوال هذه الأزمة؛ موجودون لا بمعنى البقاء على قيد الحياة وحسب، إنّما بمعنى الحصول على المعنويّات، فالإحباط يطرق بابَ كلّ واحدٍ منّا، ويدفعنا إلى التَّفكير في مدى قدرتِنا وطاقتِنا على احتمال المزيد، وخصوصًا أنَّه في كلِّ يومٍ نسمع أمرًا جديدًا يجعلنا ننظر إلى المستقبل بِسَوداويّة أكبر. نحن اليوم في مرحلةِ ملامستِنا الموت من دون الدُّخول فيه، خصوصًا في هذه الظروف المحيطة بنا. نحن نعيش في مرحلةٍ نختبر فيها، للمرّة الأولى في عصرِنا، هذا النَّوع من الصُّعوبات، بسبب فيروس كورونا. وهنا يُطرَح السُّؤال: كيف نواجه، كمؤمنين، كلّ تلك الصُّعوبات: أبالتَّذمر والاحباط والحزن؟! نحن اليوم في أزمة صِراعٍ مع الحياة، صِراعٌ من أجل الاستمرار فيها: نواجه الموت كلَّ يوم، لا كَفِكرة بل كحقيقة ملموسة في كلّ لحظة من حياتنا. وربَّما هناك أمرٌ أصعبُ من الموت، وهو حالة اليأس الّتي تَنتابنا: اليأس من كلِّ شيء، اليأس من كلّ أملٍ في التغيير، اليأس من وجود حلول للأوضاع الّتي نعيشها. إذًا، نحن نعيش، مِن حيث نَدري أو لا نَدري، سِفر الرؤيا، لأنَّ الحالة الّتي نعيشها اليوم تَضعنا أمام تحدٍّ يدفعنا إلى طرح السُّؤال: ما فائدة وجود الله في حياتنا وإيماننا به، إنْ لم نكن نشعر بوجوده وحضوره وعمَلِه على إيجاد الحلول، في هذه الأزمة الصَّعبة الّتي نعاني منها؟ صحيحٌ أنّنا شعبٌ يُصلّي ويَصوم، ولكنّنا للأسف، لا نشعر بمعونة الله وسندِه لنا، في مواجهتنا هذه الأزمة الصَّعبة الّتي تعترضنا. إنَّ مؤمِنين كثُرًا يَشعرون بهذا الألم بسبب عدم شعورهم بِسَنَدٍ إلهيّ لهم، لذلك يصرخون مع صاحب المزمور ٢٢: "إلهي، إلهي لماذا تركتني؟"؛ ولكن إذا تابَعْنا تلاوة هذا المزمور، سنكتشف أنّ في نهايته تسبيحًا للربّ: فمِن ناحية، يَصِف لنا هذا المزمور معاناة المؤمِن، ولكنّه من ناحية أخرى يدعوه إلى عيْش حالة من الرّجاء. إنّ التحدّي يكمن في كيفيّة عيْشنا الرَّجاء في ظلّ الأزمة الّتي تعترض حياتنا.

من الضروريّ أن يكون المؤمِن على معرفة بكلمة الله، في وقت الأزمة، ليتمكّن من التفاعل معها والسَّعي إلى عَيْشِها. إنّ كلمة الله تَنحتُ المؤمنَ من الدَّاخل، فتَدفعه إلى النَّظر إلى كلّ ما هو ميؤوسٌ منه في نظر البشر، على أنَّه حالةٌ صعبةٌ

يستطيع المؤمِن اجتيازها بفضل كلمة الله. إنّ كثيرين لجأوا إلى ربط الأحداث الّتي تعترض حياتهم في هذا البلد بِتَوقُّعات المنَجِّمين، واضِعين جانبًا كلّ إيمانهم وصبرهم وثباتهم في كلمة الله. إنّ هذا الوقت الّذي نعيش فيه هو الوقت المناسب لقراءتنا سِفر الرّؤيا، إذ إنّه يقوّينا في ظلّ هذه الظروف الّتي تُضعفنا، ويُثبّتنا في كلمة الله في هذه الظروف الّتي تَدفعنا إلى تغيير مسار حياتنا، ويُشجّعنا على مواجهة مغريات هذا العالم الّتي تدفعنا إلى إنكار إيماننا، ويحثّنا على الرَّجاء في الظروف الّتي تدفعنا إلى فقدان الرَّجاء. كان المسيحيّون الأوائل، الّذين وجَّه إليهم يوحنّا الرَّسول سِفر الرُّؤيا، أمام تحدٍّ يقوم على اختيارهم بين إنكارهم إيمانهم بالربِّ يسوع في سبيل المحافظة على حياتهم الأرضيّة، أو الموت شُهداء. إنَّ كلَّ مؤمنٍ مسؤولٌ عن قراره، بدليل أنّ دستور الإيمان في صِيغة المفرد في الكنيسة الشرقيّة، بينما يُقال في صيغة الجمع في الكنيسة الغربيّة تعبيرًا عن إيمان الجماعة كلِّها، الملتزمة بالربِّ يسوع. الآن هو وقتُ اختبار إيماننا، فنُدرِك إنْ كان إيماننا بالربِّ ثابتًا، صحيحًا، جديّا، ومَتينًا. فالإيمان لا يُمتَحن في وقت الرّاحة والفَرح، إنّما في وقت الشِّدة. في ظلّ هذه الظروف الصحيّة الصَّعبة، أصبحت اللِّقاءات بين البشر صَعبةً، لذا كانت الحاجة إلى اللُّجوء إلى وسائل التواصل الاجتماعي لتحقيق ذلك الهدف، عِوضَ التمسُّك بالتقويّات الزائفة القائمة على إقامة اللّقاءات الروحيّة رُغم مخاطر انتشار الوباء، فالربُّ أعطانا الحكمة لنُميِّز الأمور لا لِنُجرِّب الله. اليوم، في ظلّ هذه الأزمة، نحن مدعوّون إلى طلب المعونة من الربّ، لِنَجتاز هذه التجربة.

إنّ سِفر الرؤيا هو بعيد كلّ البُعد عن التوقُّعات الفلكيّة إذ إنّه مبنيّ على وَعدٍ، على كلمةٍ، على حَدَث، مبنيّ على شهيدٍ مات على الصَّليب من أجلنا؛ لذلك نجد فيه رجاءً، وتحقيقًا للوَعدِ بالطريقة الّتي يراها الله مناسبة. إذًا، مع كلّ احترامنا لِما تَمُرُّون به مِن وجعٍ في هذه الظروف الصَّعبة، ومع كلّ تقديرنا للجهد الّذي تقومون به، ولكن هذا لا يُعفيكم من إعلان شهادتكم منذ الآن في هذه الظروف الصّعبة، واستشهادكم إذا دَعَت الحاجة والظروف.

في هذه المقدّمة، أردتُ أنْ أُعيدَ إحياء لقاءاتنا الرُّوحيّة، وقد تكلَّمت عن سِفر الرؤيا في هذه الظروف الصَّعبة، حتّى يكون كلامي لكم دافعًا ومُحفِّزًا من أجل العودة إلى كلمة الله. إنّ حياتنا مقسَّمة إلى ثلاثة أقسام: الثُّلثُ الأوّل نقضيه في النَّوم، والثُّلثُ الثاني منها نقضيه في الرَّاحة وعدم العمل، والثُّلثُ الأخير نقضيه في العمل، وهذا الثُّلثُ الأخير هو الأكثر فائدة لنا وللآخَرين، ولكن هذا لا يعني أنّ الرَّاحة والنّوم غير مُفيدَين للإنسان، بل يعني أنّه على الإنسان عدم تضييع وقته في النَّظر إلى أوجاع النَّاس من دون العمل على مساعدتهم على تَخَطِّيها. بمعنى آخر، هل مِنَ المقبول، مع كُلِّ ذلك، أن يُضيّع الإنسان المزيد من الوقت في تشتيت نفسه وتخفيف إنتاجيّته في هذه الحياة؟ هذا الواقع الّذي نعيشه ليس جديدًا على الإنسان، فالإنسان عبر العصور عرف مراحل مشابهة للّتي نعيشها اليوم. لذا على الإنسان المؤمِن أن يعمل كي يكون نورًا للعالم في ظلِّ عصرٍ غير مستقِّر؛ وهذا النُّور لا يأتي من الإنسان نفسه، من قُدرته وقوّته بل يأتي من كلمة الله المزروعة فيه وتفاعُلِه مَعَها. إذًا، ليس المطلوب تلاوة كلمات الإنجيل على مسامِع الآخَرين بل السَّعي إلى عيشها في مَثَلنا الصّالح: فعلى الرُّغم من هذه الظروف الصَّعبة الّتي نواجهها، نجد أنّ بعض النَّاس يَهبُّون لمساعدة إخوتهم

الأكثر حاجة منهم. إنّ روح الربِّ ما زال يعمل في هذا العالم، فكم بالحريّ نحن المؤمنون بالربّ، أن نعيش وِفق هذه الرُّوح؟! إذًا، ممنوع علينا اليأس، وممنوع علينا الإحباط على الرُّغم من كلِّ شيء. عندما أدعوكم إلى عدم الإحباط، فهذا لا يعني عدم الاعتراف بوجود المشاكل، بل هي دعوة لنا إلى الصَّبر. إنَّ كلمة الله هي نفسها لم تتغيّر عبر العصور، والعالم لم يتغيَّر، وأساليبه لم تتغيّر، ولكن الوجوه تتغيَّر. أُنظروا اليوم إلى الحِقد والتعصُّب وروح الإلغاء، المنتشر في محيطكم، فتَجدون أنّ الكثيرين يلجأون إلى اعتماد "حلِّ قايين" بدلاً من "حلِّ هابيل"، في مشاكلهم مع الآخَرين، إذ يسعون إلى إلغاء الآخَر المختلف عنهم وقتَله، بدلاً من العمل على بناء علاقةٍ معه تُرضي الله. إذًا، نحن اليوم في حالةٍ صعبةٍ جدًّا، ولكنّها في الوقت نفسه حالة مُعزّية جدًّا، لأنَّ كلمة الله لا زالت موجودة وستتحقَّق، وعلينا أن نعيشها كأنّها تحقَّقت أو تتحقَّق، لا بالوَهم إنّما بالفِعل والواقع، فنتقوَّى بها ونتمكَّن من تقوية الآخَرين المحيطين بنا، إذ أصبح عالمنا اليوم بأمَسّ الحاجة إلى كلمة تعزيةٍ، إلى كلمة رجاءٍ، إذ لم يَعُد لدينا القدرة على الاحتمال. هكذا كان المسيحيُّون في العصور الأولى للمسيحيّة، في حالةٍ صعبةٍ جدًّا، حالة اضطهاد، فكان لهم سِفر الرؤيا كلمةً تبعثُ فيهم الرَّجاء وتُعزيّهم وتدفعهم إلى احتمال المشَقَّات في سبيل إيمانهم، إذ جاء ليُذكّرهم بكلمة الله، وبِوَعَده الصَّادق لهم إذ إنّهم في النِّهاية، سيَغلِبون "كما غَلب هو"، أي الربّ. إنّ طريقة انتصار الربّ ستكون مختلفة عن بقيّة طُرق الانتصارات العالميّة، وقد أثبتت نجاحها في حياة القدّيسِين، وستُظِهر نجاحها أيضًا في حياتنا نحن المؤمِنون بالربّ. إنّ زمن القداسة لم ينتَهِ ولن ينتهي، طالما أنَّ زمن الخطيئة لم يَنتَهِ: فطالما هناك خطيئة وشرّ في هذا العالم، طالما هناك توقٌ إلى القداسة عند المؤمِنِين.

في هذا الإصحاح السّابع مِن سِفر الرؤيا، الّذي سنقوم بدراسته في اللِّقاء القادم، سنقرأ أنّ عدد المخلَّصِين هو مئة وأربعة وأربعون ألفًا: إنّ هذا الرَّقم لا يعني أنّ هذا هو الرَّقم النِّهائي لِعَدد المخلَّصِين في التَّاريخ، بل يعني أنّ هناك عددًا كبيرًا لا يُحصى من المخلَّصِين. إنّ الرَّقم مئة وأربعةٌ وأربعون هو رَقمٌ رمزيّ، مؤلَّفٌ من الرَّقم اثني عشر مضاعفًا ومضروبًا بألف (١٢X١٢X١٠٠٠). في الكتاب المقدَّس، يرمز الرَّقم "اثني عشر"، إلى الكُلِّية، إلى الشموليّة، الملتزمين بكلمة الله، إذ نجد على سبيل المثال اثني عشر سبطًا ليَهوذا، واثني عشر رسولاً. والرَّقم "ألف" يشير إلى عددٍ لا محدود. وبالتّالي، فالمقصود من ذِكر هذا العدد الرَّقميّ، أنّ المجال لا يزال متاحًا أمام جميع المؤمِنِين للحصول على الخلاص، طالما أنّهم ثابتون على أمانتهم وإيمانهم بالربِّ يسوع. وهؤلاء المخلَّصون ليسوا محصورِين بالبيئة اليهوديّة فقط، بل هم ينتمون إلى جميع الأُمَم. إذًا، إنَّ كُلّ واحدٍ منّا معدودٌ ضمن حسابات الله للمخلَّصِين في هذا العالم، لذا علينا ألّا نُلغي من حساباتنا نعمة الحصول على الخلاص؛ وبالتّالي لا يمكننا التراخي أمام الصُّعوبات بل علينا أن نُصارع كما صارع يَعقوب، الّذي يُخبرنا عنه الكِتاب المقدَّس، لتكون "أسماؤنا مكتوبة في السَّماء". إذًا، على كلِّ مؤمن أن يُحدِّد أولويّاته، انطلاقًا من أهدافه في هذه الحياة: فإن كان هدفك في هذه الحياة المحافظة على حياتك الأرضيّة فإنّ أولويّاتك ستكون تأمين الطّعام؛ أمّا إذا كان هدفك الحصول على الخلاص، فإنّك ستسعى كي تكون "إصبع الله في محيطك". إنْ لم تشعر بأنَّك "إصبع الله في محيطك"، فإنَّك سَتَفقد روح المسؤوليّة؛ أمّا إذا شعرت بذلك، فإنَّك ستشعر بروح المسؤوليّة وهذا سيمنحك

القوّة للجهاد للبقاء في الحياة. نحن ليس لدينا حنين وهواية موت، إنّما لدينا حنين وهواية حياة، لأنَّ الله زرع فينا بِذرة حياة. فإذا رغِبْنا في الموت في هذه الحياة لأنّه أفضل لنا من البقاء فيها، فهذا يعني أنّنا لا نُحبّ لا الحياة هنا ولا الحياة هناك، وبالتّالي أصبحنا حالةَ يأسٍ متحرِّكة. إنَّ سِفر الرُّؤيا ينتشلك من حالة اليأس هذه. إنّ سِفر الرؤيا يُقدِّم لنا صُوَرًا ورُموزًا وأحداثًا، تُخبرنا عن الصُّعوبات الّتي سنواجهها كمؤمنِين بالربّ في هذا العالم، وتدفعنا إلى الاستعداد لمواجهتها، عندما تطرق بابَنا.

لذلك سنتابع دراستنا للإصحاح السَّابع من سِفر الرّؤيا، كي نتمكَّن من الدُّخول إلى هذا الينبوع الحيّ، ونرتوي من مياهه الحيّة الّتي تُحيينا في زمن الموت، وتقوّينا في زمن الضُّعف، وتمنحنا الرَّجاء في زمن اللّارجاء. في هذه الأزمة، تَبرزُ الحاجة إلى كلمة الله، فهذا الفيروس الّذي نتعرَّض له، قد حرَمنا من مصافحة الآخَرين ومن كلّ أشكال التعبير عن محبَّتنا الجوهريّة للآخَرين. إنَّ كائنًا، أي الفيروس، لا نراه بعيوننا، يدفعنا إلى الابتعاد عن كلِّ مَن نراهم بعيوننا؛ وبالتّالي، تحوَّل هذا الفيروس إلى "رئيس هذا العالم" بطريقةٍ من الطُّرق. إنّ هذا الفيروس ليس مُرسلاً من الله لتربية الإنسان، بل هو مِن صُنع البشر، بطريقة من الطرق: فالبشر مسؤولون عن مصيرهم على هذه الأرض، فالأمراض سببها البَشر، والموت سببه البَشر. نحن نلتجئ إلى الله عندما نواجه المشاكل، فيتحوَّل كلّ حديثنا إلى تذمّر من الواقع السَّيئ الّذي نعيشه، بمعنى آخر يتحوّل حديثنا إلى "ورقة نعوة" للأوضاع المعيشيّة. للأسف نحن اليوم، لم نَعُد نستطيع أن نشكو أمورنا للآخَرين إذ لا يمكننا اللِّقاء بالآخَر مخافة أنْ نلتقط عدوى الفيروس، حتّى أصبحنا نحتسب عدد المؤمِنِين في الكنيسة مخافة انتقال عدوى هذا الفيروس إلينا. في الكنيسة الأولى، عهد كتابة سِفر الرؤيا، كان المسيحيّون يتمتّعون بِحكمة كاملة تدفعهم إلى تجنُّب مواجهة الموت إراديًّا، من دون الهرب منه إن كان لا بُدَّ منه. إنَّ عالمنا اليوم للأسف يُصوِّر لنا الآخَر على أنّه عدو، إذ إنّه مَصدر انتقال الفيروس إلينا. إنّ هدف الكاتب من سِفر الرؤيا هو أن يشجّع المؤمِنِين على المثابرة على احتمال الصُّعوبات من أجل البقاء على قيد الحياة، واقتبال الموت في سبيل إيمانهم على رجاء القيامة، رافِضِين أن يكون رجاؤهم في الامبراطور أو الزَّعيم في عصرِنا.

إخوتي، أدعوكم كي تستعدّوا لِلِّقاء القادم واضِعين سِفر الرُّؤيا الإصحاح السَّابع أمامكم، كي نتمكَّن من تناول هذا "الخبز النازل من السَّماء"، كلمة الله الحيّة. "انتبهوا ولكن لا تخافوا؛ اهتَمُّوا ولكن لا تنهَمُّوا؛ عيشوا حياتكم، ولكن لا تسعوا كي تكون حياتكم تمرير أيّام". إنّ المؤمِن الحكيم هو مَن يعرِف كيف يعيش كي يجتاز هذه الأزمة ويبقى على قيد الحياة. أقول لكم ستَضعَفون وستَبكون، وقد يموت أحدٌ تعرفونه، ولكنّ المهمَّ أن يتمسَّك مَن يبقى فينا بالبِذرة المزروعة فيه، وأن يتَّكِل على الله، الّذي يُنمّي الزرع. نحن في وَضعٍ لا يمكننا أن نقول فيه إلّا ما قاله التلميذ للربّ: "إلى أين نذهب يا ربّ، وكلمة الحياة الأبديّة عندك؟" (يو٦: ٦٨). للأسف، هناك مؤمِنون ملتزِمون، يَقعون في أفخاخ الشيطان الذي يرمي بِذار الانقسامات بين البشر، لا للدِّفاع عن الله وعن إيمانِنا به، إنّما لأمور فانيَة تعكس شرّ هذا العالم. لذا، نحن مدعوُّون إلى طلب نعمة التمييز من الربّ، لنتمكَّن من معرفة ما هو خِصامٌ بسبب الإيمان وما هو خِصامٌ على

أمور أرضيّة فانية. لا نبيعنَّ ذواتنا لأحدٍ في هذا العالم، فنحن لا نملك هذه الصَّلاحيّة، لأنّ حياتنا هي مُلك لله وَحده، إذ قد اشترى نفوسَنا بِدَمٍ ثمين، هو دم يسوع المسيح البارّ. "لقد اشتُريتم بِثمنٍ فمجّدوا الله بأرواحكم وأجسادكم"(١كور٦: ٢٠)، وهذا يعبّر عن أهميّتنا في نظر الربّ، لذلك لم يدفَع الربُّ ثمن نفوسنا بقيامِه بأعجوبةٍ، أو بِعملٍ إلهيّ في الطبيعة، بل دَفع ثمنها من خلال دَمِ إنسانٍ لا يستحقّ الموت، قَبِل بالموت من أجل خلاصِنا. لذا لا تستَخِفّوا بِدَم المسيح، مهما كانت الصّعوبات كثيرة وكبيرة، ولا تسمحوا لشرّ هذا العالم وإغراءاته أن يجعلكم ذات ثمنٍ رخيص، بمعنى آخر لا تُضيّعوا الأمانة. كونوا على مِثال مريم، الّتي "كانت تحفظ كلّ تلك الأشياء في قلبها"، فإذا حَفظتم كلمة الله في قلوبكم، فإنّ كلمة الله تَحفظُكم من كلِّ شرّ ستتعرَّضون له.

نحن اليوم، في بداية مرحلةٍ جديدة، نتمنّى اللِّقاء بكم في كلِّ أسبوع، على الرّغم من الصُّعوبات الّتي تعترضنا بسبب فيروس كورونا. إنّ المؤمن يُدرك كيف يُسخِّر كلّ الأمور الّتي توضع بين يديه، في سبيل خِدمة كلمة الله؛ أمّا غير المؤمن فيُسخِّر كلّ ما يوضَع بين يَديه من أجل نَشر تفكير العالم وخدمته. نحن اليوم مدعوّون للاستفادة من كلّ ما نتعرَّض له في هذه الأيّام الصَّعبة، كي نتمكَّن من تجميع مخزون يساعدنا على اختيار الأفضل لنا الآن وفي المستقبل، بما يخدم كلمة الله، ومن نَقْل هذا المخزون الرُّوحي، أي البشارة، إلى الأجيال القادمة، وتعزيَة الآخَرين في وقت الصُّعوبات ومساعدتهم على اجتيازها، فنكون كالنَّار الّتي تضيء طريقهم نحو الربّ بدلاً من أن تحرقهم. عندما تعترضنا شِدَّة، علينا أن نتذكَّر قول الرّسول في الإصحاح الأوّل، في سفر الرؤيا: "أنا شريككم في الضّيق والملكوت والصَّبر"؛ فالصَّبر هو أن تتحمّل الوقوف في الصُّعوبات، لأنّ الملكوت أصبح وراءك من خلال وَعد الله لنا في العهد القديم، وهو، أي الملكوت، أمامنا، أي في طور التحقيق. لا يمكننا أن نلقي المسؤوليّة على الآخَرين كما فَعل آدم وحوّاء، أو كما فَعل قايين بأخيه هابيل، فمات هذا الأخير غَدرًا. إنّ التاريخ مليء بالشواهد: فقد برّر اليهود قَتلهم للربّ بأنّهم لن يؤمنوا به إلّا عند نزوله عن الصَّليب، فلم يفعل؛ ولكنّه قام من الموت فلم يُصدِّقوا قيامته. إذًا، انطلاقًا من المخزون الّذي نملكه، إضافة إلى مخزوننا من كلمة الله، نستطيع أن نُزيّن الأمور ونميّزها. لا يمكننا ألّا نبكي ونخاف وقت الشِدّة والألم، لأنّنا بشرٌ، لذا لا نتجبرنَّ على الله. ما هو مطلوبٌ منّا كمؤمنين بالربّ، أن نبقى في ظلّ حزنِنا وألمنا، قادرين على رؤية هذا النُّور الإلهيّ الّذي يستطيع أن يُغيّر كلّ نظرتنا إلى ما نمرُّ به. إنَّ طرق العالم مختلفة عن طُرق الربّ ولا انسجام بين فِكر الربّ وفِكر العالم، وعلى المؤمِن أن يختار ما بين طريق الربِّ وفِكره أو طريق العالم وفِكره. إنَّ سِفر الرؤيا يقول لنا إنّه مَهما اخترنا في هذه الحياة، فالقرار مسؤوليّتنا، والربُّ يهتمّ بالباقي. آمين.

ملاحظة: دُوِّنت المحاضرة من قِبَلنا بتصرُّف.